

التقوى

تقوى الله تعالى هي طريق الفلاح وعنوانه ، ووصية الله تعالى للأولين والآخرين ، ودعوة كل نبي إلى قومه ، وصفة من صفات المؤمنين ، وفضيلة يجب على كل مسلم أن يتحلى بها طاعةً لله تعالى ، وبناءً لمجتمع قوي متماسك ، بها تستقيم الحياة وتنصلح العلاقات بين أفراد المجتمع ، وتقوى الروابط بين الناس .

والتقوى دليل الإيمان وكماله في القلب وثمرته ، بها يعرف المؤمنون ، قال تعالى: { ... قَالَ أَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [المائدة: ١١٢]. جمع الله تعالى بين التقوى والإيمان للفوز بولايته تعالى الخاصة بالمتقين دون غيرهم ، قال تعالى: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } [يونس: ٦٢-٦٣].

حقيقة التقوى:

وحقيقة التقوى: أن يعلم الإنسان أن الأمور كلها بيد الله تعالى ، فيعمل بطاعة الله ، ويستحضر عظمته تعالى بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه والتورع عن الشبهات ، وعدم الإصرار على المعصية ، فيجعل الإنسان بينه وبين ما حرم الإسلام حاجباً وحاجزاً ، وبين عذاب الله تعالى سترًا ووقايةً ، فهي كلمة جامعة حقيقتها الإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والعمل بشريعته .

وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن التقوى محلها القلب ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَحْسَبُ امْرِيٍّ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ) (صحيح مسلم). كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن العمل الصالح وحسن الخلق يحققان تقوى الله تعالى في القلوب ، فعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَجُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (سنن الترمذي).

وتتحقق التقوى بحفظ الإنسان لجوارحه عما حرم الله ورسوله ، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (اسْتَحْبِبُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا

لَسْتُحْيِي قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (رواه الحاكم).

التقوى في القرآن الكريم: وردت التقوى في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة ، منها : الطاعة، والعبادة، والخوف، والمراقبة، والإيمان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، وقال تعالى: {...أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النحل : ٢]. وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف : ٩٦].

كما ورد ذكر التقوى في القرآن الكريم بصور متنوعة ، فتارة تأتي بصيغة وصية الله تعالى بها ، وتارة يأمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين أن يتحلوا بها في أقوالهم وأفعالهم، وتارة يمدح الله أهلها ، ويذكر صفاتهم ، ويبين ما أعده لهم من منزلة عظيمة.

فهي وصية الله للأولين والآخرين ، كما في قوله تعالى : {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١]. فقد اتفقت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين على الأمر بالتوحيد والعبادة والتقوى... قال تعالى عن نبي الله نوح (عليه السلام) : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون: ٢٣]، وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الشعراء: ١٠٦ . ١٠٨]. وقال تعالى عن نبي الله هود (عليه السلام) : {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف: ٦٥]، وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الشعراء: ١٢٤ . ١٢٦].

وقال تعالى عن نبي الله صالح (عليه السلام): {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الشعراء: ١٤٢ . ١٤٤]. وقال تعالى عن نبي الله لوط (عليه السلام) : {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الشعراء: ١٦١ . ١٦٣].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب (عليه السلام): {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الشعراء: ١٧٧-١٧٩].

بل أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالتقوى بصفة خاصة فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب: ١]. وأمر المؤمنين بها بصفة عامة في أمور دينهم ودنياهم من عبادات ومعاملات... إلخ ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩].

وقد بين الله (عز وجل) ما أعدده للمتقين من نعيم دائم بفضل طاعتهم لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} [الدخان: ٥١-٥٤]، وقوله عز وجل: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: ١٥-١٩].

الترغيب في التقوى :

لقد رغب الله تعالى في التقوى بمرغبات كثيرة تعمل على تربية النفوس وتقويمها وإصلاح أمرها ، منها :

أولاً : الفوز بمحبة الله تعالى ومعيته للمتقين ، قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦] ، وقال عز وجل: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

ثانياً: المتقون هم أهل الكرامة والرفعة والمكانة العالية في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

ثالثاً: التقوى تورث صاحبها الجنة (دار المتقين)، قال تعالى: {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} *جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} [النحل: ٣٠، ٣١]، وقال تعالى: {لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمر: ٢٠]. وقال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: ٦٣].

رابعاً: التقوى تيسر الرزق الحلال ، وتفرج الكروب ، وتذهب متاعب الحياة وأزماتها ، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢، ٣].

خامساً: التقوى تيسر تحصيل العلم النافع ، قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢].

سادساً: التقوى تجلب الرحمات والبركات من الأرض والسموات ، قال

تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦].

سابعاً: التقوى سبب في حفظ الذرية بعد الموت ، قال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: ٩].

ثامناً: بالتقوى تتحقق النجاة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمر: ٦١].

تاسعاً: بالتقوى يكفر الله تعالى السيئات، ويرفع الدرجات، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق: ٥].

عاشراً: التقوى خير زاد يحقق سعادة الإنسان، قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧]، وكتبَ عُمَرُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ (عزَّ وجلَّ)، فَإِنَّهُ مِنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جِزَاهُ ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ ، فَاجْعَلِ التَّقْوَى نَصَبَ عَيْنِكَ وَجَلَاءَ قَلْبِكَ) (تفسير ابن رجب الحنبلي).

أثر التقوى في سلوك المتقين:

لتقوى الله تعالى أثرٌ كبير في نفوس المتقين وقلوبهم ، فهي تنير القلب والبصيرة، وتصون الإنسان وتحجبه عن معصية الله تعالى، وتجعله مراقباً لله (عز وجل) في السر والعلن ، فعن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ (رضي الله عنهما) بِرَاعِيٍ غَنَمٍ فَقَالَ: يَا رَاعِيِ الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ فَقَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَاهُنَا رَبُّهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ لَهُ : أَكَلَهَا الدُّبُّ فَرَفَعُ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ : فَأَيْنَ اللَّهُ ، فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِيَّ وَاشْتَرَى الْغَنَمَ ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ) (الجامع الصحيح للسنن والمسائيد).

كما أنها تحقق المهابة أمام الأعداء ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ) (رواه البخاري).

فتقوى الله تعالى هي القيادة الحقيقية للمجتمع الإسلامي ، بها يتحقق رغد العيش وتمام الصحة والعافية ، قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، وشكر الله تعالى دليل على تقواه.